

الْحَجَّ أَشَهُرٌ مَعْلُومٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ { سورة البقرة (٢) : الآيات ١٩٧ إلى ٢٠٣ } الْحَجُّ أَشَهُرٌ مَعْلُومٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجَّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَשْعَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَادُوكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الظَّالَّمِينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفْيَضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرُكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) وَقُولُهُ: الْحَجُّ أَشَهُرٌ مَعْلُومٌ. أَى: وقت الحج أشهـر معلومات أو أشهر الحج أشهر معلومات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وجعلت النسبة إلى الحج نفسه لا إلى وقته، ----- ج ١ (ص: ٤٢٧) قال القرطبي ما ملخصه: وأشهر الحج هي شوال وذو القعدة والعشرة الأولى من ذي الحجة. وقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وفائدة الفرق تعلق الدم فمن قال: إن ذا الحجة كله من أشهر الحج لم يوجب دما على من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة لأنـه وقع في أشهر الحج، ومن قال بأنـ وقت الحج ينقضي بالعشرة الأولى من ذي الحجة يوجب الدم عليه لتأخيره عن وقته. لأنـ بعض الشهر ينزل منزلة كله، كما يقال: رأيتك سنة كذا ولعلـ إنـما رأـه في ساعة منها». أو المراد بكونها معلومات أنها مؤقتة بأوقات معينة لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها عنها، وهو يتضمن بطلان النـسيء الذي كان يفعلـه الجاهليـون تبعـا لأهـوائهم. وقولـه: فـمـن فـرـض فـيـهـنـ الـحـجـ فـلـا رـفـثـ وـلـا فـسـوقـ وـلـا جـدـالـ فيـ الـحـجـ بيانـ لما يـحبـ أنـ يـتحـلىـ بهـ المـسـلـمـ منـ فـضـائـلـ عـنـ أـدـائـهـ لـهـذـهـ الـفـريـضـةـ. والـرـفـثـ فـيـ الـأـصـلـ: الـفـحـشـ مـنـ القـوـلـ. والمـرـادـ بـهـ هـنـا الـجـمـاعـ. أـوـ الـكـلـامـ الـمـتـضـمـنـ لـمـاـ يـسـتـقـبـ ذـكـرـهـ مـنـ الـجـمـاعـ وـدـوـاعـيـهـ. وـغـيـرـ ذـكـرـ مـمـاـ نـهـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـقـيـلـ: هـيـ مشـتـقةـ مـنـ الـجـدـالـةـ الـتـيـ هـيـ الـأـرـضـ. فـكـأـنـ كـلـ وـاـحـدـ مـنـ الـخـصـمـيـنـ يـقاـومـ صـاحـبـهـ حـتـىـ يـغـلـبـهـ، فـيـكـونـ كـمـنـ ضـرـبـ بـهـ الـجـدـالـةـ. ----- ج ١ (ص: ٤٢٨) وـالـمـعـنـىـ: أـوـقـاتـ الـحـجـ أـشـهـرـ مـعـلـومـاتـ فـمـنـ نـوـىـ وـأـوـجـبـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـيـهـنـ الـحـجـ وـأـحـرـمـ بـهـ فـعـلـيـهـ أـنـ يـجـتنـبـ الـجـمـاعـ لـنـسـاءـ وـدـوـاعـيـهـ وـأـنـ يـبـتـدـعـ عـنـ كـلـ قـوـلـ أـوـ فـعـلـ يـكـونـ خـارـجـاـ عـنـ آـدـابـ الـإـسـلـامـ، وـمـؤـدـيـاـ إـلـىـ التـنـازـعـ بـيـنـ الرـفـقـاءـ وـالـإـخـوـانـ، فـإـنـ الـجـمـيعـ قـدـ اـجـتـمـعـوـا عـلـىـ مـائـدـةـ الرـحـمـنـ، فـعـلـيـهـمـ أـنـ يـجـتـمـعـوـا عـلـىـ طـاعـتـهـ، رـوـيـ الشـيـخـانـ عـنـ أـلـىـ هـرـيرـةـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ: «ـمـنـ حـجـ هـذـاـ الـبـيـتـ فـلـمـ يـرـفـثـ وـلـمـ يـفـسـقـ رـجـعـ كـيـوـمـ وـلـدـتـهـ أـمـهـ»ـ. وـلـلـإـشـعـارـ بـعـلـةـ الـحـكـمـ، وـإـيـثـارـ النـفـيـ لـلـمـبـالـغـةـ فـيـ النـهـيـ، وـالـضـمـيرـ فـيـ قـوـلـهـ: فـيـهـنـ لـلـأـشـهـرـ، وـجـمـلـةـ فـلـا رـفـثـ. لـأـنـ التـقـدـيرـ فـلـا رـفـثـ. وـمـاـ عـطـفـ عـلـيـهـ فـيـ مـحـلـ رـفـعـ خـبـرـ لـمـنـ عـلـىـ أـنـهـ مـوـصـولـةـ. وـيـبـدوـ أـنـ رـأـيـ الشـافـعـيـ هـنـاـ أـرـجـعـ، فـقـدـ جـعـلـ سـبـحـانـهـ. هـذـهـ أـلـأـشـهـرـ وـعـاءـ لـهـذـهـ الـفـريـضـةـ وـظـرـفـاـ لـهـاـ. وـالـلـهـ تـعـالـىـ. لـاـ يـخـفـيـ عـلـيـهـ شـيءـ مـنـ أـعـمـالـكـمـ، وـهـوـ سـبـحـانـهـ. سـيـجـازـيـكـمـ عـلـىـ فـعـلـ الـخـيـرـ بـمـاـ تـسـتـحـقـونـ مـنـ جـزـاءـ. ثـمـ قـالـ تـعـالـىـ: وـتـزـوـدـوـ فـإـنـ خـيـرـ الزـادـ التـقـوـىـ. قـالـ الـإـمـامـ الرـازـيـ: فـيـ هـذـهـ الـجـمـلـةـ الـكـرـيمـةـ قـوـلـانـ: وـالـسـفـرـ مـنـ الدـنـيـاـ لـاـ بـدـ لـهـ أـيـضاـ مـنـ زـادـ وـهـوـ مـعـرـفـةـ اللـهـ وـمـحـبـتـهـ وـإـعـراضـ عـمـاـ سـوـاهـ، وـلـاقـيـتـ بـعـدـ الـمـوـتـ مـنـ قـدـ تـزـوـدـاـ نـدـمـتـ عـلـىـ أـنـ لـاـ تـكـوـنـ كـمـثـلـهـ. وـأـنـكـ لـمـ تـرـصـدـ بـمـاـ كـانـ أـرـصـداـ وـرـبـمـاـ ظـلـمـوـاـ النـاسـ وـغـصـبـوـهـ فـأـمـرـهـ اللـهـ تـعـالـىـ. أـنـ يـتـزـوـدـوـ بـالـمـالـ وـالـطـعـامـ الـذـيـ يـغـنـيـهـ عـنـ سـؤـالـ النـاسـ. وـالـذـيـ تـرـاهـ أـنـ الـجـمـلـةـ الـكـرـيمـةـ تـسـعـ الـقـوـلـيـنـ. فـهـيـ تـدـعـوـ النـاسـ إـلـىـ أـنـ يـتـزـوـدـوـ بـالـزـادـ الـمـعـنـوـيـ الـنـفـسـيـ الـذـيـ يـسـعـدـهـ أـلـاـ وـهـوـ تـقـوـىـ اللـهـ وـأـمـتـالـ أـوـامـرـهـ وـاجـتـنـابـ نـوـاهـيـهـ وـإـكـثـارـ مـنـ الـعـلـمـ الصـالـحـ وـفـيـ الـوـقـتـ نـفـسـهـ هـيـ تـأـمـرـهـ. أـيـضاـ. بـأـنـ يـتـزـوـدـوـ بـالـزـادـ الـمـادـيـ الـحـقـيقـيـ الـذـيـ يـغـنـيـهـ عـنـ سـؤـالـ النـاسـ، وـهـوـ اـسـتـعـمالـ شـائـعـ مـسـتـسـاغـ عـنـ كـثـيرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ. وـالـجـمـلـةـ الـكـرـيمـةـ لـيـسـتـ تـكـرـارـاـ لـسـابـقـتـهاـ،